بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

١٩ / ٩ / ١٤٤٥هـ

الحمد لله...أما بعد:

أعظم الأسئلة.

أعظم الأسئلة، وأشد السؤالات هي تلكم التي تكون من أعظم كتابٍ يعرفه الإنسان المؤمن، هي الأسئلة التي خلَّدها القرآن، فإنه إذا ألقى السؤال فحري بالعباد أن يتفكروا مليًا في سؤاله، وأن يَسْبَحُوا مرارًا في استفهامه، وأن يستقصوا كلَّ ممكن في إيجاد الأجوبة التي ترضي المتكلمَ العظيم الذي تكلَّم بالقرآن، ومن تلك الأسئلة القرآنية العظيمة قوله تعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٨٧ .

ظن الخلق بالخلق، وظنهم بالخالق.

إن مما يتعامل به العقلاء أنهم يتسامحون فيما بينهم،

---

(١) الفكرة من إلهام **@Fedaaadeen**.

فيعفون عن المخطئ، ويتغافلون عن المسيء، لكنَّ أمرًا لا يمنحه العقلاء لغيرهم بسهولة، بل يؤدونه بكل رَوِيّة وحَذَر: ألا وهو: منح الثقة. فإن الثقةَ مطلبٌ عزيز لا يمنحه إلى كل أحد إلا قاصرُ التفكير، فليس أيُّ واحدٍ تراه تَبثُّ إليه مستودع أسرارك، وتفتح له أبواب شكواك. فالثقة في خزائن موصدة لا تُبثُّ إلا لمن أثبت براهينه أنه مستحق لثقتك، مثال ذلك: الزوجةُ العاقلة فإنها مِن أعظم من يجب أن يُمنَح الثقة، لأنهن ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ النساء: ٣٤، ومن أعظم من يُمنح الثقة -أيضًا- الصَّدِيق الصدُوق كأبي بكر -رضي الله عنه- عندما قال: "لم أكن لأُفشيَ سرِّ رسولِ الله ﷺ" (١)، فلرسول الله ﷺ أعلمُ حيث وضع ثقته بين الناس، بل إن هنالك مواقفَ يمنح الإنسان فيها روحه -وهي أعزم ما يملك- لأناس ظنهم جديرين بتحمل الثقة، فالمسافر يُسْلِم روحَه عند باب الطائرة، متوكلاً على الله، ثم واثقًا بإقلاع القائد، والمريض ينجدل بين يدي الجراح، ويقول: سلّمتك قلبي بين يديك، واثقًا بالله، ثم

---

(١) رواه البخاري.

بمهارة الطبيب، وهذا من أعظم أنواع الثقة التي يمنحها الإنسان للإنسان.

هنا يأت السؤال في القرآن:﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، إذا كان هذا ظنكم بالعالمين، فكيف هو ظنكم برب العالمين؟

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي وصف نفسه المُقدَّسة العظيمة فقال:﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾الأعراف: ١٥٦ ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي وصفه نبينا ﷺ فقال: "إن لله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس...وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة"(١)، ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي لن يدخلكم الجنة بأعمالكم، فإن أعمالكم أضعفُ من أن تحيط شكرَه ونِعمَه وتفضلَه على خلقه، وإنما يدخلكم الجنة برحمته، فقد قال ﷺ: "لن يُدخِل أحدًا عملُه الجنة". قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: "لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمةٍ". متفق عليه.

---

(١) رواه مسلم.

يا عبد الله، عندما تعطي ثقتك للناس-الناس الذين هم محلُّ النسيان والخطأ والخيانة والانتقام-أليس من الأجدر والأولى أن تضعها في الخالق-سبحانه- ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ طه: ٥٢، عندما تتكالب عليك الغموم، وتحيط بك دوائر الهموم، لن تجد أعظم مَن تثق به كربِك، فإنه هو وحده مُفرِّج الكروب، وزائلٌ عنك الخطوب، فقط؛ لأنك تؤمن بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ الأنفال: ٦٢ .

هل نحن مع الله كما هو معنا؟

إن الثقة بالله هي أمل، يعقبها عمل، إن الثقة بالله شعور يملأ قلبَك بفيض الراحة، وسكينةِ الطمأنينة، إن الثقة بالله أن تقول بملء فيك ما قال مؤمنُ آل فرعون بثقة تملأ وقود الحياة ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾غافر: ٤٤.

كم مرةً تَعلَّقتْ أمانيك بشيء ترغبه بشدة، وحال بينك وبينه الحوائلُ والموانع، منحك الله إياه في طرفة عين، ومن حيث لا تحتسب؟ كم مرةً مرضتَ فشفاك؟ تعبتَ فأراحك؟ خفتَ فأمّنك؟ جعتَ فأشبعك؟

فقط لنسأل أنفسنا هل نحن مع الله، كما هو -سبحانه- معنا؟ يَغْذُوك بالنعم، ويكرمك بالمنن، ولا يصعد إليه منك شكرٌ ولا توقير! يَتحبَّبُ إليك بالنعم مع فقرك إليه، وفاقتك إلى نواله، فتَتَمقَّتُ إليه بالمعاصي، وهو مع ذلك يجبرك، ويسترك، ويرزقك ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أقول ما تسمعون....

الخطبة الثانية:

حسن الظن بالله، وقصص مُلهمة.

قال ﷺ: "لا يَموتَنَّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"(١)، فذنوبنا ملأ زكامُها الأرض، وعبادتنا كصعيد عانى من القحط والجدب، وإنّ من إحسان الظن بالله، أن يعمل الإنسان ويرجو، ويترك النواهي ويخاف، ولا يكن كـ" العَاجِزِ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ"(٢)، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قالها إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ٨٥﴾

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

﴿أَإِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: "فأيُّ شيء تظنون أيُّها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره"(١)، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ هي كالسؤال الآخر الذي يحتاج منك إلى مزيد عناية وتأمل وإدراك، وهي سؤال الله لك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ الانفطار: ٦

لما أسرى موسى بقومه هربًا، وخلصوا إلى البحر، أدركهم فرعونُ وجنودُه مِن ورائهم، فمن نظر إلى قوانين الأرض قال:﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الشعراء: ٦١ ، قالها قوم موسى جزمًا، وانقطاعًا من كل رجاء، ومن نظر إلى قوة الله التي تكسر كل قانون قال:﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء: ٦٢، قالها موسى ثقة بالله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

ولما كان ﷺ في الغار ومعه صاحبه، فقال أبو بكر: "لو أنَّ أحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا"(٢)، فقال ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ

---

(١) تفسير ابن جرير (٢١/٦٣).

(٢) رواه البخاري.

﴿ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾التوبة: ٤٠، فالظن الجميل له العقبى الجميلة ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

إنه سؤال يستحق التأمل، ويَسْتحثُّ عرضَه على النفوس، حتى يجد منك جوابَ صدقٍ، وأنتم مقبلون على عشرٍ خواتيم، تتنزل فيها الرَّحَمَات والهبات والعطايا، وعد من تعبده في ليلةٍ بأنْ تُغفر ذنوبُه ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فاللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر واحم حوزة الدين، اللهم نج المستضعفين في غزة، اللهم اشدد وطأتك على يهود المعتدين، اللهم املاء بيوتهم وقبورهم نارًا، اللهم وفق ولي أمرنا لكل ما تحبه وترضاه، اللهم واجعله ذخرًا للإسلام والمسلمين، اللهم احم بلادنا، وانصر جندنا، وأذل أعداءنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد